تتسع لدرهم من العطف واللطف والحنان. ولئن مدّت بأبصارنا إلى أقاصي الفضاء فقد حجبت بصائرنا عن أقرب ما يتّصل بنا من الكائنات. وها نحن في مشاكلها كالأسماك في الشباك. نتخبّط ذات اليمين وذات اليسار فما نهتدي إلى منفذٍ للنجاة. فنعود نتلهّى عن بلايانا بإنزال أنواع البلايا بسوانا. ونعود نتشاتم ونتعاير ونتقاتل، وكلّنا يلوم جاره ويحمله أوزاره. فنحن ما فعلنا غير الخير كل الخير. وجارنا ما فعل غير الشرّ كلّ الشرّ. إذن فالموت لجارنا والحياة لنا.

لقد تنكّر الإنسان للإنسان. فالقلوب جليد ونار، والعقول مكرٌ ومَين، والشفاه فخاخ وشراك، والألسنة عقارب وأصلال، والوجوه تضليل وتمويه. تقاربت الأجساد وتباعدت الأرواح. وتشابكت المصالح المادية وتفكّكت الأواصر المعنوية. حتى أصبح الناس ولا شغل لهم إلّا أن يقبّح بعضهم بعضاً، وأن يكيد بعضهم لبعض، وأن يرقص بعضهم في مآتم بعض.

لعمري إن مدنيّة توغر قلب الإنسان على أخيه الإنسان لمدنيّة تقوّض أركانها بيدها. وهل قامت المدنيات إلّا بمجهود جميع الناس؟ وهل من غاية لأيّة مدنيّة إلّا النهوض بالإنسان من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى؟ وأي خير في